[766] هذه الطبقة، فقيل له: فعلى كل حال ؟ - قال: وا لو صاح في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما: وخرج أفصح من سحبان وقس ولم تكن قريش بأفصح العرب، كان غيرها أفصح منها، قالوا: أفصح العرب جرهم وان لم تكن لهم نباهة، وخرج أزهد الناس في الدنيا وأعفهم مع أن قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا، ولا غر وفيمن كان محمد صلى ا عليه وآله مربيه ومخرجه، والعناية الالهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان. ثم قال: يقال: احتسب ولده، إذا مات كبيرا، وافترط ولده، إذا مات صغيرا. قوله: فمنهم الاتي، قسم جنده أقساما فمنهم من أجابه وخرج كارها للخروج كما قال تعالى: كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، ومنهم من قعد واعتل بعلة كاذبة كما قال تعالى: يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون إلا فرارا، ومنهم من تأخر وصرح بالقعود والخذلان كما قال تعالى: فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول ا وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل ا، والمعنى أن حاله كانت مناسبة لحال النبي صلى ا عليه وآله، ومن تذكر وتدبر أحوالهما وسيرتهما وما جرى لهما إلى أن قبضا علم تحقيق ذلك. ثم أقسم أنه لو لا طمعه في الشهادة لما أقام مع أهل العراق ولا صحبهم. فان قلت: فهلا خرج إلى معاوية وحده من غير جيش ان كان يريد الشهادة ؟ قلت: ذلك لا يجوز لانه القاء النفس إلى التهلكة، وللشهادة شروط متى فقدت فقدت، فلا يجوز أن تحمل احدى الحالتين على الاخرى). _____